الخليج

الرأي, مقالات

29 نوفمبر 2017 03:10 صباحا

حافة الحرب

الكاتب

عبدالحسين شعبان

عبد الحسين شعبان

عند حدوث توترات واحتدامات في المواقف وتعارضات حادة في السياسات والمصالح غالباً ما تتردّد عبارة أو مصطلح «حافة الحرب». وقد جرى استخدامها على نحو واسع، ولا سيّما بعد إعلان استقالة رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري من الرياض، وردود الفعل المختلفة بخصوصها، والتوقّعات والتكهّنات بشأنها، إضافة إلى التحدّيات والاصطفافات؟

وقبل ذلك شهدت المنطقة تصعيداً في العمليات العسكرية في اليمن وتوجيه صاروخ بالستي باتجاه الرياض، الأمر الذي زاد التوتّر حدّة، خصوصاً وأن الصراع مع إيران أصبح واحداً من العقد الأساسية في المنطقة، والتي قد تضعها على «حافة الحرب».

وكان قد سبقه إلى ذلك مقاطعة دولة قطر من قبل المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات ومملكة البحرين ومصر، على خلفية ضلوعها بتشجيع جماعات إرهابية، وما زالت تداعيات هذه المواقف قائمة ومستمرة، لكن الأمور لم تجد طريقها إلى الحل حتى الآن.

ودفع الاستفتاء الكردي على الاستقلال يوم 25 سبتمبر/ أيلول 2017، الأمور المتوترة أصلاً إلى احتكاكات كادت أن تصل إلى درجة الصدام المسلح، ولعبت طهران وأنقرة اللتان نسقتا مع بغداد دوراً مهماً في إحباط مشروع انفصال كردستان عن العراق، وجاء هذا التطور بعد هزيمة «داعش» العسكرية في العراق وتقهقره في سوريا.

وتداخل هذا التطوّر مع التموضع الروسي الجديد في سوريا وذلك بالترافق مع تعزيز الدور الأمريكي، بالتحالف مع قوى كردية، وخصوصاً في إطار ما يسمى «قوات سوريا الديمقراطية»، وهو تطوّر يثير مخاوف من احتمال تقاسم للنفوذ بين موسكو وواشنطن على حساب دول الإقليم التي لا تزال تعاني من سياسة حافة الحرب. فما المقصود بها؟ ولعلّ هذه التطوّرات وغيرها تندرج فيما يطلق عليه سياسات حافة الحرب، فماذا تعني؟

حسب المفكر النمساوي كلاوزفيتز «الحرب هي امتداد للسياسة بوسائل عنفية»، والمقصود بالحرب ليس العمليات العسكرية فحسب، بل التهديد بها والتلويح باستخدامها، سواء بوسائل ناعمة أو خشنة، لتحقيق أهداف السياسة الخارجية للدولة، وأحياناً يتم ذلك لتجنّب الحرب أو لدفع التهديد من طرف العدو أو الخصم ومنعه من اللجوء إليها، خصوصاً بوضع تحدّيات أمام شنّها، الأمر الذي يحتاج إلى حساب عواقبها وعوامل النجاح والإخفاق فيها، بما فيها النصر أو الهزيمة، سواء على المستوى العسكري أو المستويات الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، إضافة إلى الحرب النفسية وتأثيراتها في إطار تكتيكات متغيّرة حسب تغيّر الظروف والمواقف والمصالح.

وإذا كانت الحرب أولها كلام كما قيل، فإن الكلام في علم السياسة، هو فعل مؤجل في الحال أو في المستقبل، خصوصاً التلويح به أو التهديد للقيام بعمل من شأنه أن يؤدي إلى تحقيق المقصود منه، سواء كان ذلك عبر السياسة أو بالوسائل الأخرى، سواء اقتصادية أو إعلامية أو دعائية أو عنفية أو عسكرية أو غيرها. ويُطلق على هذه الممارسة «سياسة حافة الحرب» التي تعني جعل الطرف الآخر يفكّر جدّياً بالعواقب التي ستؤول إليها عملية شن الحرب وما ستتركه من نتائج عليه قبل خصمه، ويدخل هنا حساب الوحدة الوطنية والتحالفات والاصطفافات الداخلية والإقليمية والدولية، واختيار اللحظة المناسبة لاستبدال التكتيكات للوصول إلى الهدف خصوصاً في التدقيق ب «فن الهجوم» والتقدّم مثلما من الضروري حساب «فن الانسحاب» والتراجع.

وإذا انتقلنا من الجانب النظري إلى الجوانب العملية، سواء ما يتعلّق بالمحاور الإقليمية أو بالتحالفات الدولية التي تؤثر في موازين القوى وفي استعداد الأطراف المختلفة لانتهاج «سياسة حافة الحرب»، بازدياد المشكلات الإقليمية تعقيداً والتوترات الداخلية اشتباكاً، لا سيّما في ظلّ الانقسامات الطائفية والدينية والإثنية، فضلاً عن استمرار الصراع العربي– الصهيوني، الذي ظلّ مهيمناً طوال العقود السبعة الماضية، فإننا نكون أمام مخاطر راهنة وجدّية، خصوصاً وأن المنطقة لا تزال تعاني من التعصّب والتطرّف والعنف والإرهاب، وأن ظاهرة الإرهاب الدولي لا تزال هي الأقوى في منطقتنا قياساً بمناطق العالم الأخرى. وتلعب الأمية والجهل المتفشيان في بلداننا دورهما في استشراء هذه الظاهرة، على الرغم من أننا نمتلك ثروات وموارد طبيعية تجعل منطقتنا من أغنى المناطق على المستوى العالمي، وتلك إحدى المفارقات التي نعيشها.

وإذا كان النفوذ الإقليمي والدولي مؤثراً وكبيراً في منطقتنا، فالسبب هو غياب مشروع عربي تنموي حضاري موحد، يستطيع أن يكون عنصر توازن من جهة وردع من جهة ثانية، لأية تطاولات إقليمية أو دولية، تستهدف إملاء الإرادة وفرض الاستتباع، وعلينا استذكار أن العرب كلّما كانوا موحدين ومتقاربين، استطاعوا تحقيق نهضتهم والعكس صحيح، كلما كانوا متفرقين ومحتربين تمكّنت القوى الخارجية من استغلالهم والهيمنة عليهم وهو أحد دروس التجربة التاريخية.

drhussainshaban21@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©